القول الحثيث في مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث

م.د. مصطفى مؤيد حميد كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين وخاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، وعلى الائمة المجتهدين في الدين ، والعلماء العاملين ومن تبعهم باحسان حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وبعد ...

فقد كرم الله تعالى بني آدم من بين خلقه ، وجعلهم خلفاءه في الارض ، وارسل اليهم الرسل مبشرين ومنذرين ليخرجوهم من الظلمات الى النور ، وانزل عليهم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يهديهم الى الحق والى طريق مستقيم ، وجعل لهم سنة رسوله بيانا لكتابه ما ان تمسك بهما المسلمون فلن يضلوا ابدا .

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرع الاحكام بناءً على ما يستجد من الحوادث وما ينزل من النوازل ويقضي بين المتخاصمين بكتاب الله اولا ، فان لم يجد فبما اراه الله ، لقوله تعالى :(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)[١] . فكان هذا منهجا رسمه عليه افضل الصلاة والسلام لكل من يتولى امور الناس ويرعى مصالحهم من بعده ولا سيما العلماء لانهم ورثته في العلم والتوجيه والاصلاح ، يقول عليه افضل الصلاة والسلام : (...ن العلماء ورثة ا نبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . إنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[٢] .

فان لم يجدوا في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانهم يفتون بما يؤديه اليه اجتهادهم دون ان يخالفوا ما جاء فيهما . وقد اقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته هذا النوع من الاستنباط عندما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن واليا ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال :(كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ " قال أقضي بكتاب الله قال " فإن لم تجد في كتاب الله ؟ " قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله ؟ " قال أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر في الإجتهاد) فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لمايرضي رسول الله)[٣] ، وهو المنهج نفسه الذي سار عليه الخلفاء الراشدون ؛ فعن ميمون بن مهران قال :(كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ا مر سنة قضى به فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاءا فيقول

---

[١] - سورة النساء : آية ١٠٥ .

[٢] - رواه ابن ماجه في سننه رقم ٢٢٣ : ١ / ٨١ واللفظ له، وصححه ابن حبان : ١ / ٢٨٩ .

[٣] - رواه ابو داود في سننه رقم ٣٥٩٢ ، ٢ / ٣٢٧ ، وفي اسناده ضعف لانقطاعه كما اورد ذلك الدارمي في سننه : ١ / ٧٢ .

أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا فإن أعياه ان يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به)[٤] .

وهو ايضا وصية سيدنا عمر رضي الله عنه لعماله على الامصار ؛ فعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب إليه :(إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي ا مرين شئت إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وإن شئت أن تتأخر فتأخر ولا ارى التاخر الا خيرا)[٥] .

فمادة الاستنباط بالدرجة الاساس هي كتاب الله وهو قطعي الثبوت كما يعبر عنه الاصوليون ، ومن ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي تتفاوت بين القطعي والظني بحسب ثبوت الحديث ، ومتى ما ثبت فهو المعول عليه ، لذلك كان الامام ابو حنيفة رحمه الله يقول :(ما جاء عن الله تعالى فعلى الرأس والعين وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعا وطاعة ...)[6] ، ويقول الامام الشافعي رحمه الله يقول :(اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي)[7].

كان هذا ايجاز حول مكانة النص في استنباط الاحكام حتى ادخل في موضوعي وهو بيان مكانة الامام ابي حنيفة في الحديث ، ووجه العلاقة بينه وبين الموضوع :أن من جملة المآخذ التي أخذت على ابي حنيفة هو ميله للرأي والقياس الذي كان سببا لتضعيفه في الحديث من قبل بعض اهل الحديث ، والحق انه ضرب من ضروب الاجتهاد يلجأ اليه المجتهد اذا لم يجد حكما منصوصا عليه في الكتاب او السنة ، وهو ليس اتجاه ابي حنيفة فحسب ، بل هو اتجاه الفقهاء جميعا وان لم ينصوا عليه في اصول استنباطاتهم ، ولكن الفروع الفقهية مع ادلتها قد اظهرت هذا الامر وبينته ، وهو ليس مما يعاب عليه الفقيه او يذم به ، بل على العكس فانه يدل على الخزين العلمي لذلك الفقيه وذكائه المفرط واحاطته بعلم الكتاب والسنة وكيفية استنباط الحكم الشرعي ، وهو امر لم يتهيأ للكثير ، لذلك كان الفقهاء محط حسد ممن يعر ف مكانتهم وقدرهم ، ومحل طعن من بعض الجهلة لانهم قد اتوهم بما يفوق ادراكهم العقلي كما علل ذلكبعض اهل العلم وسو ف نبينه لاحقا .

المطلب ا ول

---

[٤] - سنن الدارمي رقم ١٦١: ١ / ٦٩ .
[٥] - سنن الداارمي رقم ١٦٧ : ١ / ٧١ .
[٦] - الاحكام لابن حزم : ٤ / ٥٧٣ .
[٧] -الانصا ف للدهلوي : ١ / ١٠٤ .

مكانة الإما م أبي حنيفة رحمه الله في الحديث

ولد الامام ابو حنيفة رحمه الله في الكوفة سنة ثمانين من الهجرة ونشأ فيها [٨]، وهي تعد في ذلك الوقت قبلة العلم والعلماء ،ومحل الفضلاء والنجباء من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . قال سفيان بن عيينة :(خذوا المناسك عن أهل مكة وخذوا القراءة عن أهل المدينة وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة)[٩] ، تم تمصيرها في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه [١٠] ، واتخذها سيدنا علي رضي الله عنه عاصمة الخلافة الاسلامية .

عاش ابو حنيفة رحمه الله ونشأ في خير القرون التي اخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[١١] . ويذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي في " الخيرات الحسان " أنه ادرك جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بالكوفة ، منهم سيدنا انس بن مالك فقد روي عن ابي حنيفة انه قد رآه مرات عديدة لما قدم الكوفة [١٢] ، ومنهم عبد الله بن ابي اوفى علقمة بن قيس الاسلمي ، وسهل بن سعد الساعدي الانصاري ، وابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ، وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم جميعا فهو يعد من طبقة التابعين [١٣] ، وهذه ميزة لم تثبت لاحد من ائمة الامصار المعاصرين له كالاوزاعي والثوري ومالك والليث بن سعد [١٤] .

كما ثبت لقاؤه بعلماء آل البيت كالامام جعفر الصادق رضي الله عنه ولمرات عديدة [١٥] ، ولاعجابه الشديد بالامام الصادق وبعلمه الغزير فقد كان يقول :(ما رأيت افقه من جعفر بن محمد)[١٦] .

لقد تتلمذ الامام ابو حنيفة رحمه الله واخذ العلم على يد نخبة من كبار علماء التابعين :

منهم : الامام حماد بن ابي سليمان رحمه الله فقيه العراق ، وفيه يقول ابو حنيفة :(قدمت البصرة وظننت أني لا أسأل عن شيء الا اجبت فيه ، فسألوني عن اشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي ان لا افارق حمادا حتى يموت فصحبته ثماني عشرة سنة)[١٧] .

ومنهم : الامام عطاء بن ابي رباح فقيه اهل مكة الذي يقول فيه ابو حنيفة :(ما رأيت احدا افضل من عطاء)[١٨] .

ومنهم الامام الشعبي والامام يزيد بن صهيب الفقير اللذان يعدان من الشيوخ الكبار لابي حنيفة وآخرين [١٩] .

وروى الحديث عن جمهرة من اهل العلم ، منهم : زيد بن ابي انيسة الامام الحافظ الثبت عالم الجزيرة في زمانه [٢٠] ، وشداد بن عبد الرحمن القشيري ، وبلال بن وهب بن كيسان ،

---

[٨] - ينظر : مولد العلماء ووفياتهم : ١ / ١٩٩، ٣٥١ .
[٩] - ينظر : المصدر نفسه : ٤ / ٤٩٣، باب الكاف والواو .
[١٠] - ينظر : معجم البلدان : ٤ / ٤٩١، باب الكاف والواو .
[١١] - رواه البخاري في صحيحه رقم ٢٥٠٨ : ٢ / ٩٣٨ .
[١٢] - ينظر : التدوين في اخبار قزوين : ٣ / ١٥٣ .
[١٣] - ص ٢٩ .
[١٤] - ينظر : الخيرات الحسان لابن حجر الهيتمي : ص٢٩ .
[١٥] - ينظر : حلية الاولياء : ٣ / ١٩٦ – ١٩٧ .
[١٦] - تذكرة الحفاظ : ١ / ١٦٦ .
[١٧] - تهذيب الاسماء : ٢ / ٥٠٣ .
[١٨] - تذكرة الحفاظ : ١ / ٩٨ .
[١٩] - ينظر : تذكرة الحفاظ : ١ / ٧٩ ، سير اعلام النبلاء : ٥ / ٢٢٧ – ٢٢٨ .
[٢٠] - ينظر : سير اعلام النبلاء : ٦ / ٨٨ .

ومكحول الدمشقي افقه علماء الشام ، وعمرو بن دينار المكي ، وابن شهاب الزهري ، وعبد الرحمن الاوزاعي وآخرين [٢١] .

وكان الامام ابو حنيفة رحمه الله يستوثق لنفسه بهم اذا سئل عن شيوخه ، فعن الربيع بن يونس يقول :(دخل ابو حنيفة يوما على المنصور وعنده عيسى بن موسى ، فقال للمنصور : هذا عالم الدنيا اليوم ، فقال له : يا نعمان عمن اخذت العلم ؟ قال : عن اصحاب عمر عن عمر ، وعن اصحاب علي عن علي ، وعن اصحاب عبد الله عن عبد الله وما كان في وقت ابن عباس على وجه الارض اعلم منه ، قال : لقد استوثقت لنفسك)[٢٢] .

وكان رحمه الله ممن عني بعلم الكتاب والسنة وسعى في طلب الحديث ، ويعد من الاوائل الذين كانوا يعرجون على الاقوياء من الثقات وترك الضعفاء من الرواة او ممن عر ف بالكذب.

وقد شهد له بالحرص والعناية بطلب الحديث وحفظه كبار المحدثين وأئمة الجرح والتعديل ، يقول الحافظ الذهبي :(وعني بطلب الآثار وارتحل في ذلك)[٢٣] ، ويقول ايضا :(فان الامام ابا حنيفة طلب الحديث واكثر منه سنة مئة وبعدها)[٢٤] .ويقول الامام الحافظ عبد الله بن داود الخريبي :(يجب على اهل الاسلام ان يدعوا الله لابي حنيفة في صلاتهم وذكر حفظه عليهم السنن والفقه)[٢٥] .

وعن عبيد الله بن عمرو قال :(قال الاعمش لابي حنيفة : يا نعمان ما تقول في كذا وكذا ، قال : كذا وكذا ، قال : من اين قلت ؟ قال : انت حدثتنا عن فلان بكذا ، قال الاعمش : انتم يا معشر الفقهاء الاطباء)[٢٦] . وعده العلماء الحفاظ من ائمة اهل الحديث ؛ يقول ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني :(رحم الله مالكا كان اماما ، رحم الله الشافعي كان اماما ، رحم الله ابا حنيفة كان اماما)[٢٧] ، وكما هو معلوم ان ابا داود سيد الحفاظ وشيخ السنة ، وكذلك الامام الحافظ ابن قيم الجوزية فقال :(اما طريقة الصحابة والتابعين وائمة الحديث كالشافعي والامام احمد ومالك وابي حنيفة وابي يوسف والبخاري ...)[٢٨] ، ويقول الامام ابن تيمية رحمه الله : (...ائمة اهل الحديث والتفسير والتصو ف والفقه مثل الائمة الاربعة واتباعهم)[٢٩] .

ولم يكتف الامام ابو حنيفة رحمه الله بهذا فحسب ، بل خاض في الجرح والتعديل محاولة منه لحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوضع والتحريف ، منها قوله :(ما رأيت فيمن لقيت افضل من عطاء بن ابي رباح ، ولا لقيت اكذب من جابر الجعفي ؛ ما اتيته قط بشيء الا جاءني فيه بحديث وزعم ان عنده كذا وكذا الف حديث من رأي عن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينطق بها)[٣٠] ، ولا سيما مع انتشار الموضوعات في عصره فقد الم بها وجمعها وكان يخبر بها طلابه عندما يجلس في حلقات العلم حتى يتركوا الاحتجاج بها ؛ فعن

---

[٢١] - ينظر : الثقات : ٤ / ٣٥٧ ، ٦ / ٩١ ، طبقات الحفاظ : ١ / ٤٩ – ٥٠ ، ٨٦ .
[٢٢] - تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٣٤ .
[٢٣] - سير اعلام النبلاء : ٦ / ٣٩٢ .
[٢٤] - المصدر نفسه : ٦ / ٣٩٦ .
[٢٥] - تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٤٤ .
[٢٦] - الثقات : ٨ / ٤٦٧ .
[٢٧] - جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١٦٣ .
[٢٨] - اعلام الموقعين عن رب العالمين : ٢ / ٢٩٤ .
[٢٩] - منهاج السنة : ٢ / ٣٦٣ .
[٣٠] - سير اعلام النبلاء : ٥ / ٨٣ .

عبد الرحمن المقريء قال :(كان ابو حنيفة يحدثنا فاذا فرغ من الحديث قال هذا الذي سمعتم كله ريح وباطل)[٣١] .

وقد عد الحاكم ابا حنيفة رحمه الله من الائمة الثقات ممن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرك بهم فقال في ذكر النوع التاسع والاربعين من معرفة علوم الحديث ما نصه :(هذا النوع من العلوم معرفة الائمة الثقات المشهورين من التابعين واتباعهم ممن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرك بهم وبذكرهم من الشرق الى الغرب ....ومن اهل الكوفة : الربيع بن خثيم العابد صعصعة بن صوحان العبدي كميل بن زياد النخعي عامر بن شراحيل الشعبي سعيد بن جبير ا سدي إبراهيم النخعي.... ابو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي)[٣٢] .

ان الامام ابا حنيفة رحمه الله من الائمة الذين عرفت عدالتهم واشتهرت ، وشاع الثناء عليه بالثقة والامانة ، فأي خبر ينقله او يرويه يعد مقبولا كما هو معرو ف عند علماء الجرح والتعديل . يقول الامام الحافظ ابن الصلاح :(فمن اشتهرت عدالته بين اهل النقل او نحوهم من اهل العلم وشاع الثناء عليه بالثقة والامانة استغني فيه بذلك عن بينة شاهدة بعدالته تنصيصا)[٣٣] .

وبناءا عليه عمد كثير من علماء الجرح والتعديل الى عدم ايراد المشاهير من العلماء والائمة المتبوعين في كتبهم لجلالة قدرهم ولانهم فوق ان يحكم عليهم ويبين حالهم ، ومنهم الامام الذهبي فقد صرح في مقدمة " ميزان الاعتدال " بما نصه :(وكذا لا اذكر في كتابي من الائمة المتبوعين احدا لجلالتهم في الاسلام وعظمتهم في النفوس مثل ابي حنيفة والشافعي والبخاري)[٣٤] .

ان جمع الحديث وحفظه والالمام به لم يتميز به ابو حنيفة فحسب ، بل تميز به ايضا طلابه وعدوا من الثقات ابرزهم : الامام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ، فقد وثقه جمع كبير من اهل العلم واشادوا بحفظه واتباعه للحديث ؛ قال المزني :(ابو يوسف اتبع القوم للحديث)[٣٥] ،وقال يحيى بن معين :(ابو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة)[٣٦] ،وقال ايضا :(كان ابو يوسف القاضي يميل الى اصحاب الحديث كثيرا وكتبنا عنه ولم يزل الناس يكتبون عنه)[٣٧] . وقال الامام احمد :(اول ما كتبت الحديث اختلفت الى ابي يوسف)[٣٨] .

وقال ايضا : (كان مصنفا في الحديث)[٣٩] . وكان شيخه ابو حنيفة رحمه الله يثني عليه كثيرا ويشيد بعلمه ، فعن اسد بن فرات قال :(سمعت محمد بن الحسن يقول :مرض ابو يوسف في زمن ابي حنيفة مرضا خيف عليه منه ، قال : فعاده ابو حنيفة ونحن معه ، فلما خرج من عنده وضع يديه على عتبة بابه وقال : ان يمت هذا الفتى فانه اعلم من عليها واومأ الى الارض)[٤٠] .

---

[٣١] - الجرح والتعديل : ٨ / ٤٤٩ .
[٣٢] - معرفة علوم الحديث للحاكم : ص ٣٢٣ .
[٣٣] - علوم الحديث : ص٦١ .
[٣٤] - ١ / ١١٣ .
[٣٥] - تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٩٣ ، لسان الميزان : ٦ / ٣٠٠ .
[٣٦] - تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٩٣ .
[٣٧] - الجرح والتعديل : ٩ / ٢٠١ .
[٣٨] - سير اعلام النبلاء : ٨ / ٥٣٦ – ٥٣٧ .
[٣٩] - تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٩٤ .
[٤٠] - تاريخ بغداد : ١٤ / ٢٤٦ .

ومن طلابه الثقات ايضا محمد بن الحسن الشيباني ، فمع ملازمته لابي حنيفة لازم ايضا الامام مالك واخذ عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو احد رواة الموطأ عنه ، واخذ الحديث ايضا عن سفيان الثوري وقيس بن الربيع وعمر بن ذر ومسعر ومن الاوزاعي [٤١] ، يقول الربيع عن الشافعي رحمه الله :(حملت عن محمد بن الحسن وقر بعير كتبا)[٤٢] ، ويقول ايضا :(ما رأيت رجلا اعلم بالحرام والحلال والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن)[٤٣] .

ومنهم الامام زفر بن الهذيل ، كان جامعا بين العلم والعبادة وصاحب الحديث والسنة روى عنه أبو نعيم وغيره ، كان يثني عليه ابو حنيفة كثيرا حتى انه وصفه في خطبة زواجه بانه من ائمة المسلمين وعلم من اعلامه في شرفه وحسبه وعلمه [٤٤] ، وكان ابو نعيم يرفع زفر ويقول :(كان نبيلا فقيها)[٤٥] .

المطلب الثاني

موقف بعض أهل الحديث من الإمام أبي حنيفة وأصحابه

لقد كان لبعض اصحاب الحديث نظرة شديدة القسوة على الامام ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله جميعا قديما وحديثا ، ولعل السبب في ذلك ما قيل من مثالب في حق ابي حنيفة وهو منها بريء ، وكلها كانت حكايات باطلة ومزورة .

لذا نجد أن بعض اصحاب الحديث يصفون ابا حنيفة باوصاف تحط من قدر هذا العالم الجليل ، ويجرحونه في كتبهم ويعدونه من الضعفاء وممن يترك حديثه ولا يحتج به ، منها على سبيل المثال :

- قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :((الدال على الخير كفاعله ...))، هذا الحديث يرويه ابو حنيفة بسنده عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه ، وقد رواه الامام احمد في مسنده [٤٦] ، بسنده عن اسحاق بن يوسف عن ابي حنيفة ، وهو لم ينص على اسم ابي حنيفة عن عمد ، يقول عبد الله بن احمد :(كذا قال ابي لم يسمه على عمد وحدثناه غيره فسماه يعني ابي حنيفة)[٤٧] .

فالامام احمد رحمه الله لم ينص على اسم ابي حنيفة عندما ذكر سند الحديث الا بعد ان ذكر له اسم آخر فسماه ، وهذا الموقف فيه دلالة ان للامام احمد مآخذ على الامام ابي حنيفة كانت سببا لعدم ذكر اسمه في الاسناد .

- ورد في صحيح البخاري بما نصه :(وقال بعض الناس إن وهب هبة ألف درهم أو أكثر حتى مكث عنده سنين واحتال في ذلك ثم رجع الواهب فيها فلا زكاة على واحد منهما . فخالف الرسول صلى الله عليه وسلم في الهبة وأسقط الزكاة)[٤٨] .

---

[٤١] - ينظر : تعجيل المنفعة : ١ / ٣٦١- ٣٦٢ .
[٤٢] - المصدر نفسه : ١ / ٣٦٢ .
[٤٣] - اخبار ابي حنيفة واصحابه للصيمري : ص ١٢٨ .
[٤٤] - ينظر : شرح مسند ابي حنيفة للملا علي القاري : ١ / ٣٦ .
[٤٥] - اخبار ابي حنيفة واصحابه للصيمري : ص ١٠٩ .
[٤٦] - رقم الحديث ٢٣٠٧٧ : ٥ / ٣٥٧ .
[٤٧] - مسند احمد بن حنبل : ٥ / ٣٥٧ . ويعلق شعيب الارنؤوط بان الحديث اسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح غير ابي حنيفة الامام الثقة المشهور فقد روى له الترمذي والنسائي .
[٤٨] - صحيح البخاري : ٦ / ٢٥٥٨ .

المسألة هنا في الواهب اذا وهب هبة وقد تواطأ مع الموهوب له على أن لا يتصر ف في الهبة ويرجعها إلى الواهب قبل تمام الحول عليها عنده ثم يعود فيهبها إليه بعد مرور الحول هكذا يتبادلان المال بينهما بحيث لا يمضي عليه حول كامل عند أحدهما فلا تجب الزكاة .

ذكر ابن التين ان المراد من قول البخاري (بعض الناس) هو ابو حنيفة واصحابه [٤٩] ، فهم - بناءا على من فسر كلام البخاري - بانهم قد خالفوا السنة ، ويرد العيني بأن هذا الاحتيال لم يقل به أبو حنيفة ولا أصحابه رحمهم الله تعالى وإن كانوا يقولون بجواز الرجوع بالهبة ، فلهم قيود وشروط وأدلة يعتمدون عليها تحمي هذا الإمام وأصحابه رحمهم الله تعالى من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الاحتيال للفرار من فريضة من فرائض الإسلام ، فيقول بما نصه :(لم يقل أحد من أصحاب أبي حنيفة إن أبا حنيفة أو أحدا من أصحابه قال ذلك وإنما هذا اختلاق لتمشية التشنيع عليهم)[٥٠] .

ولو اردنا ان نفصل في هذه المسألة فسو ف نجد ان الاحنا ف لهم تفصيل في الادلة التي وردت ، وحملوها على محمل غير ما حمله عليه غيرهم من الفقهاء ، كما ان لهم قيود في جواز الرجوع في الهبة واستثناءات يطول الكلام في التفصيل فيها [٥١] ، مع هذا كله فقد ايدوا مذهبهم بما روي عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في ذلك ، حتى ان الطحاوي من الحنفية يذكر ان القياس يقتضي خلا ف مذهبهم ولكنهم تركوا القياس اتباعا للنص لانه مقدم كما هو معلوم ، فيقول :(وقد وصفنا في هذا ما ذهبت اليه في الهبات ، وما ذكرنا من هذه الآثار اذ لم نعلم عن احد مثل من روينا عنه خلافا لها ، فتركنا النظر من اجلها وقلدناها ، وقد كان النظر لو خلينا واياه خلا ف ذلك ، وهو الا يرجع الواهب في الهبة لغير ذي الرحم المحرم ، لان ملكه قد زال عنها بهبته اياها ، وصار للموهوب له دونه ، فليس له نقض ما قد ملك عليه الا برضاء مالكه ، ولكن اتباع الآثار وتقليد ائمة اهل العلم اولى)[٥٢] .

هذا كان راي ابو حنيفة واصحابه في مسألة الرجوع في الهبة وتلك كانت ادلتهم ، فاذا حملت عبارة الامام البخاري على ما فسره بعض اهل العلم فليست هناك مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهبة .

هذه المناقشة فيها اشارة ان هناك عداءا موجه لابي حنيفة ، وذلك بان ينسبوا الى ابي حنيفة كلاما او اراءا لم يقل بها او يفسروا اراءه خلا ف ما اراده هو واصحابه .

ان مثل ما ذكر في تفسير عبارة الامام البخاري (قال بعض الناس) تكرر خمسا وعشرين مرة ، في كل واحدة منها تصر ف الى ابي حنيفة رحمه الله مما دفع بعض اهل العلم ان يحققوا هذه المسائل ويردوا على من يفسر كلام الامام البخاري بان المراد به ابو حنيفة رحمه الله ؛ ومنهم الفقيه المحدث الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي في رسالة سماها " كشف الالتباس عما اورده الامام البخاري على بعض الناس " .

يذكر الشيخ الغنيمي رحمه الله فيه ان ما نسب الى ابي حنيفة رحمه الله من مسائل بعضها غير صحيح لان قوله بخلافها صريح كما موجود في كتب الحنفية ، والبعض الاخر وان كان من مذهبه ، ولكنه لم ينفرد به ، بل وافقه عليه بعض الفقهاء المجتهدين [٥٣] .

---

[٤٩] - ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٢ / ٣٤٦ .
[٥٠] - عمدة القاري للعيني : ٢٤ / ١٢١ .
[٥١] - ينظر : المبسوط : ١٢ / ٤٩ وما بعدها ، بدائع الصنائع : ٦ / ١٣٢ وما بعدها .
[٥٢] - شرح معاني الاثار : ٤ / ٨٤ .
[٥٣] - ينظر : كشف الالتباس عما اورده الامام البخاري على بعض الناس : ص ٦١ .

منها قول الامام العيني في عبارة البخاري :(قال بعض الناس : المعدن ركاز)[٥٤] ، عندما جزم ابن التين بان المراد هو ابو حنيفة ما نصه :(قال : قلت جزم ابن التين بان المراد به هو ابو حنيفة ، من اين اخذه ؟ فلم لا يجوز ان يكون مراده هو سفيان الثوري من اهل الكوفة ، والاوزاعي من اهل الشام ، فانهما قالا مثل ما قال ابو حنيفة : ان المعدن كالركاز ، وفيه الخمس في قليله وكثيره)[٥٥] .

- يقول الامام مسلم رحمه الله :(ابو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب الرأي مضطرب الحديث ليس له كبير حديث صحيح)[٥٦] . وثبت عن الامام النسائي انه يعد ابا حنيفة من الضعفاء في الحفظ او بالحديث [٥٧].

هذا الموقف من بعض اهل الحديث يتكلم عنه الامام ابن عبد البر معللا السبب فيقول : (افرط اصحاب الحديث في ذم ابي حنيفة وتجاوزوا الحد في ذلك ، والسبب الموجب لذلك عندهم ادخاله الرأي والقياس على الآثار واعتبارهما ، واكثر اهل العلم يقولون : اذا صح الاثر بطل القياس والنظر)[٥٨] .

اذن السبب الرئيسي الذي كان وراء هذا الذم والتجريح هو اخذ الامام ابي حنيفة بالرأي والقياس ، وهو منهج لم ينفرد به ابو حنيفة فحسب ، بل اخذ به اغلب الفقهاء وان لم يصرحوا بذلك ؛ ولكن ابا حنيفة رحمه الله اكثر منه وفق ضوابط شرعية .

ان الرأي الذي عر ف به ابو حنيفة وذم بسببه ما هو الا تاويل محتمل في آية او سنة رد بتأويل سائغ او ادعاء نسخ . وهذا منهج اهل العلم جميعهم الا انهم كانوا مقلين في ذلك قياسا بابي حنيفة رحمه الله [٥٩] .

ويتابع ابن عبد البر كلامه في بيان الاسباب التي يأخذ فيها الفقيه بالرأي ومنهم ابو حنيفة قائلا :(ليس احد من علماء الامة يثيب حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه باثر مثله او باجماع او بعمل يجب على اصله الانقياد اليه ، او طعن في سنده ، ولو فعل ذلك احد سقطت عدالته)[٦٠] .

فالامام ابو حنيفة رحمه الله لم يلجأ الى القياس والرأي الا عند عدم وجود نص ثابت عنده في المسألة ، او كان فيه ضعف يحول دون الاحتجاج به بناءً على منهجه في الاخذ بالحديث . وحتى القياس الذي يأخذ به هو قياس مبني على اصول ونصوص معتبرة ، فقد أثر عنه قوله :(نحن لانقيس إلا عند الضرورة الشديدة وذلك أننا ننظر في دليل المسألة من الكتاب والسنة أو أقضية الصحابة فإن لم نجد دليلا قسنا حينئذ مسكوتا عنه على منطوق به)[٦١] . ومن يدعي ان ابا حنيفة يقدم الرأي والقياس على النص فهذا كذب وافتراء ، يقول رحمه الله :(كذب والله وافترى علينا من يقول : إننا نقدم القياس على النص وهل يحتاج بعد النص إلى

---

[٥٤] - صحيح البخاري : ٢ / ٥٤٥ .
[٥٥] - عمدة القاري : ٩ / ١٠٠ .
[٥٦] - الكنى والاسماء : ١ / ٢٧٦ .
[٥٧] - ينظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ٧ / ٣٧ ، تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد للنسائي : ١ / ١٢٨ ، رسائل في علوم الحديث للنسائي : ١ / ٢٤ .
[٥٨] - جامع بيان العلم : ٢ / ١٤٨ .
[٥٩] - ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ١٤٨ – ١٤٩ .
[٦٠] - جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١٥٠ .
[٦١] - مقدمة شرح مسند ابي حنيفة لملا علي القاري : ١ / ٣ .

قياس)[٦٢] . بل كان رحمه الله يذم القياس الفاسد ، فعن وكيع قال :(سمعت ابا حنيفة يقول : البول في المسجد احسن من بعض القياس)[٦٣] .
ولان ابا حنيفة رحمه الله كان متمسكا بالحديث فقد ترك القياس في كثير من المسائل لورود النص فيها منها : حديث :(من اكل ناسيا وهو صائم فليتم صومه ...)[٦٤] ، فالقياس انه يفطر ولكن تركه ابو حنيفة رحمه الله لخبر ابي هريرة رضي الله عنه . ونظير هذه المسألة كثير كما ورد في كتب الحنفية .
وكون النص مقدم على القياس والرأي هو ليس مذهب ابي حنيفة فحسب ، بل هو مذهب الفقهاء جميعا من ذوي الآراء المعتبرة والمتبوعة .
والظاهر لي بعد التدبر في اتجاه اهل الحديث هذا أن هناك من اصحاب الرأي من كان يعطل النصوص ويقدم الراي عليها ، فكان ذلك سببا لتحامل اهل الحديث على كل من عر ف انه ياخذ بالرأي دون النظر في آرائه هل هي موافقة للنصوص أم لا ، او كون الفقيه الفلاني يأخذ بالرأي يتبادر الى الذهن أنه يقدمه على النصوص .
وسواءً كان هذا او ذاك فان ابا حنيفة رحمه الله كان متمسكا بالسنة ومنهجه في الاستنباط وشروط قبول الاخبار عنده ، وقبوله لمرسلات الثقات اذا لم يعارضها ما هو اقوى منها خير دليل على ذلك ؛ يقول علي بن خشرم :(كنا في مجلس سفيان بن عيينة ، فقال يا اصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث لا يقهركم اصحاب الرأي ، ما قال ابو حنيفة شيئا الا ونحن نروي فيه حديثا او حديثين)[٦٥] ، ويقول الامام اللكنوي :(أن كثير منهم يطلق على أبي حنيفة وغيرهم من أهل الكوفة أصحاب الرأي ولا يلتفتون إلى رواياتهم وهو أمر باطل عند غيرهم)[٦٦] ، فهذه شهادة اخرى في حق ابي حنيفة رحمه الله انه جمع بين الفقه والحديث تضا ف الى شهادة الاعمش التي مر ذكرها .
اما ما ورد في رده لجملة من الاحاديث وعدم العمل بها فهذا كان بناءً على منهجه في قبول خبر الاحاد وبمقتضى هذه القواعد ترك الإمام أبو حنيفة رحمه الله العمل بأحاديث كثيرة من اخبار الآحاد قد تكون عند غيره صحيحة ويصح الاحتجاج بها ، وهو اجتهاد منه اذا اخطأ فيه فله اجر ، وان اصاب فله اجران ، ولا يحكم عليه باجتهاد غيره .
وكان هناك سببا آخر يضا ف الى الاول في موقف اهل الحديث حيال ابي حنيفة رحمه الله وهو أنه كان قليل التحديث حتى نسب اليه انه ليس لديه حديث صحيح كثير كما صرح بذلك الامام مسلم رحمه الله ، الا ان هذا الامر بمقاييس اهل الحديث لا يعد جرحا للراوي ، فقد كان هناك من اجلاء الصحابة من لم يظهر منه الا قليل من الرواية كابي بكر وعمر رضي الله عنهما لانشغالهما بما هو اهم وهو رعاية مصالح المسلمين [٦٧] .
وكذلك الفقيه فاستخراج المسائل من الادلة هو شاغله وهو يغنيه عن الرواية لان العمل في النهاية هو المقصود وهو المعول عليه في مقام الهداية وفي هذا المعنى ينشد فارس بن الحسن قائلا [٦٨] :

---

[٦٢] - المصدر نفسه .
[٦٣] - سير اعلام النبلاء : ٦ / ٤٠١ ، المدخل الى السنن الكبرى : ١ / ٢٠٣ .
[٦٤] - رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٢٩٢ : ٦ / ٢٤٥٥ بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه .
[٦٥] - معرفة علوم الحديث للحاكم : ١ / ٦٦ .
[٦٦] - الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكنوي : ١ / ٨٣ – ٨٤ .
[٦٧] - شرح مسند ابي حنيفة للقاري : ١ / ١٤ .
[٦٨] - المصدر نفسه .

يا طالب العلم الذي ... ذهبت بمدته الرواية
كن في الرواية ذا العناية ... بالدراية والرعاية
وارو القليل وراعه ... فالعلم ليس له نهاية

اضف الى هذا سببا آخر وهو منهج الامام ابي حنيفة في التحديث ، فقد كان يشترط الا يحدث الراوي الا بما يحفظه من وقت تحمله الى وقت التحديث به ، وهي من وصاياه لطلابه ، يقول الطحاوي :(حدثنا سليمان بن شعيب حدثنا أبي قال : أملى علينا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة : لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث إلا ما يحفظه من يوم سمعه إلى يوم يحدث به)[٦٩] . وهو بذلك لا يجوز الرواية بالمعنى ولو كان مرادفا للمبنى خلافا لما عليه جمهور المحدثين[٧٠]. هذا المنهج الذي يسوده التشدد في قبول الرواية والعمل بها لاسباب قاهرة محيطة به - واقصد بها كثرة الوضاعين وانتشار الزنادقة والمبتدعة – ساهم في جعل ابي حنيفة رحمه الله ممن لهم بصيرة بالحديث الصحيح وتمييزه عن غيره ، يقول ابو يوسف رحمه الله :(كنت ربما ملت الى الحديث ، فكان هو – يعني ابا حنيفة – ابصر بالحديث الصحيح مني)[٧١] ، ويقول ايضا :(كان اذا صمم على قول درت على مشايخ الكوفة هل اجد في تقوية قوله حديثا او اثرا ، فربما وجدت الحديثين والثلاثة فاتيته به ، فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح او غير معروف ، فاقول له : وما علمك بذلك مع انه يوافق قولك ؟ فيقول : انا عالم بعلم اهل الكوفة)[٧٢] .

المطلب الثالث

أسباب الإيقاع بابي حنيفة رحمه الله

ان الامام ابا حنيفة رحمه الله لم يسلم من الجرح والطعن وتلفيق التهم والاقاويل ونسبها اليه في حياته وبعد مماته وكذلك اصحابه وكل من ينتسب الى المدرسة الحنفية . وبعد البحث والتدقيق في كتب الرجال توصلت الى سببين رئيسيين كانا وراء كل تلك الاقاويل والطعون ، وهي :

١. الوضع :

كانت المرحلة التي عاش فيها ابو حنيفة وبرز فيها مشحونة بالوضاعين ، وكل له طريقته والغاية التي ينشدها ، ويمكن تقسيمهم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول / كان هناك من يضع على ابي حنيفة رحمه الله احاديث لم يحدث بها قط وينسبها اليه ، وكان ابرزهم :

- ابان بن جعفر ، يقول ابن حبان :(فرأيته قد وضع على ابي حنيفة اكثر من ثلاث مائة حديث ما حدث بها ابو حنيفة ، فقلت : يا شيخ اتق الله ولا تكذب)[٧٣] .
- محمد بن سعيد البورقي ، يقول الذهبي :(كان احد الوضاعين بعد الثلاث مائة)[٧٤] ، وكان ايضا يضع الحديث في مناقب ابي حنيفة رحمه الله [٧٥] .

---

[٦٩] - المصدر نفسه .
[٧٠] - تدريب الراوي للسيوطي : ٢ / ٩٧ – ٩٩ .
[٧١] - تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٤٠ .
[٧٢] - الخيرات الحسان : ص٧٣ .
[٧٣] - الكشف الحثيث : ١ / ٣٣ ، وينظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ١ / ٢١ ، لسان الميزان للعسقلاني : ١ / ٢٧
[٧٤] - الكشف الحثيث : ١ / ٢٣٢ .

- احمد بن عبد الله بن محمد ابو علي اللجلاج ، فقد حدث باحاديث مناكير ونسبها الى ابي حنيفة وهو لم يحدث بها قط [٧٦] .
- يحيى بن عنبسة : يقول الدارقطني فيه :(جال يضع الحديث مكشو ف ا مر)[٧٧] ، كان يضع الحديث على بن عيينة وداود بن ابي هند وابي حنيفة وغيرهم من الثقات [٧٨] .
- محمد بن القاسم بن مجمع الطالقاني ، قال الحاكم :(كان يضع الحديث)[٧٩] ، وكان له سند واحد يضعه لاسناد احاديثه الموضوعة يصل به الى ابي حنيفة عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبي صالح عن أم هانئ رضي الله عنها [٨٠] .
- يحيى بن هاشم السمسار الغساني كان يروي عن هشام بن عروة وا عمش والثوري وشعبة و عن اسماعيل بن أبى خالد وأبى حنيفة وغيرهم بالمناكير يضعها عليهم ويسرق حديث الثقات وهو متهم في نفسه انه لم يلق هؤلاء وعامة حديثه عن هؤلاء وغيرهم إنما هو مناكير وموضوعات ومسروقات وهو في عداد من يضع الحديث [٨١] .

القسم الثاني / كان هناك من يضع الحكايات عن العلماء في ثلب ابي حنيفة ، وهي حكايات كاذبة ومزورة وتناقض الاخبار الصحيحة التي وردت عن العلماء انفسهم في مدح ابي حنيفة والثناء عليه .

منها : ما وضعوه من حكايات كثيرة واقاويل مزورة نسبوها الى الامام سفيان الثوري يذم فيها ابا حنيفة ، منها على سبيل المثال قوله :(استتيب ابو حنيفة من الكفر مرتين)[٨٢] ، وقوله عندما جيء اليه نعي ابي حنيفة :(الحمد لله الذي اراح المسلمين منه لقد كان ينقض الاسلام عروة عروة)[٨٣] .

هذه الاخبار ومثيلاتها تناقض ما روي عنه في مدح ابي حنيفة ، منها : ما روي عن عبد الله بن المبارك انه قال :(قلت لسفيان الثوري ما ابعد ابا حنيفة من الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوا له قط ، قال : هو والله اعقل من ان يسلط على حسناته ما يذهب بها)[٨٤] . ومنها ما يرويه ابو بكر بن عياش قال :(مات عمر بن سعيد اخو سفيان فاتيناه نعزيه فاذا المجلس غاص باهله وفيهم عبد الله بن ادريس ، اذ اقبل ابو حنيفة في جماعة معه ، فلما رآه سفيان تحرك من مجلسه ثم قام فاعتنقه واجلسه في موضعه وقعد بين يديه ، قال ابو بكر : فاغتظت عليه وقال ابن ادريس ويحك الا ترى فجلسنا حتى تفرق الناس فقلت لعبد الله بن ادريس لا تقم حتى نعلم ما عنده في هذا ، فقلت يا ابا عبد الله رأيتك اليوم فعلت شيئا انكرته وانكره اصحابنا عليك ، قال : ما هو ، قلت : جاءك ابو حنيفة فقمت اليه واجلسته في مجلسك وصنعت به صنيعا بليغا ... فقال : وما انكرت من ذلك هذا رجل من العلم بمكان فان لم اقم لعلمه قمت لسنه ، وان لم اقم لسنه قمت لفقهه ، وان لم اقم لفقهه قمت لورعه)[٨٥] .

---

[٧٥] - المصدر نفسه .
[٧٦] - ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال : ١ / ١٩٤ .
[٧٧] - لسان الميزان : ٦ / ٢٧٢ .
[٧٨] - ينظر : المجروحين : ٣ / ١٢٤ .
[٧٩] - لسان الميزان : ٥ / ٣٤٣ .
[٨٠] - ينظر : المصدر نفسه .
[٨١] - ينظر : الكامل في الضعفاء : ٧ / ٢٥٢ .
[٨٢] - المجروحين : ٣ / ٦٠ .
[٨٣] - المصدر نفسه .
[٨٤] - تهذيب الاسماء : ٢ / ٥٠٦ .
[٨٥] - تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٤١ ، وينظر : تهذيب الاسماء : ٢ / ٥٠٤ .

وبالجهة الاخرى فان ابا حنيفة رحمه الله كان يثني كثيرا على سفيان الثوري ؛ فعن ابي يحيى الحماني قال :(سمعت ابا حنيفة يقول : لو كان سفيان الثوري في التابعين لكان فيهم له شأن)[٨٦] .

ومنها : ما اوردوه عن شعبة رحمه الله ، فينسب اليه قوله :(كف من تراب خير من ابي حنيفة)[٨٧] ، فهو يتناقض مع ما روي عنه انه كان حسن الرأي بابي حنيفة [٨٨] .

وجيء ايضا باخبار كاذبة منسوبة الى طلابه يذمون فيها شيخهم ابا حنيفة ومنهجه في الاستنباط مع انهم قد تبنوا ايضا المنهج نفسه ؛ منها ما نسب الى عبد الله بن المبارك قوله : (من نظر في كتاب الحيل لابي حنيفة احل ما حرم الله وحرم ما احل الله)[٨٩] .

وينسب اليه ايضا كلاما يذم فيه مجلس ابي حنيفة وطريقته في التدريس [٩٠] ، وهي بعيدة كل البعد عن الصحة ، ولا سيما اذا ما ورد عنه ما يناقض هذه الاباطيل ؛ فعن منصور بن هاشم يقول :(كنا مع عبد الله بن المبارك بالقادسية ، اذ جاءه رجل من الكوفة فوقع في ابي حنيفة ، فقال له عبد الله : ويحك أتقع في رجل – واخذ يشيد بعبادته وورعه – وقال : وتعلمت الفقه الذي عندي من ابي حنيفة)[٩١] ، وهو يقول ايضا :(لولا أن الله اغاثني بابي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس)[٩٢] . وانشد ابياتا يمدح فيها ابا حنيفة فيقول [٩٣] :

رأيت ابا حنيفة كل يوم يزيد نبالة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه اذا ما قال اهل الجور جورا
يقايس من يقايسه بلب فمن ذا تجعلون له نظيرا

ووضعوا اخبارا اخرى ونسبوها الى ائمة المذاهب المتبوعة كالامام مالك فيها طعن بابي حنيفة ، الا انه لم يثبت في الصحيح شيء عن الامام مالك فيه طعن بابي حنيفة ، وهذا ما صرح به علماء المالكية [٩٤] .

ومن جملة ما قيل في ثلب ابي حنيفة انه من الجهمية [٩٥] ، ويقول بالارجاء وخلق القران وهي اتهامات باطلة ولا سيما اذا ما نظرنا الى مذهب ابي حنيفة كما نقله عنه طلابه وما ذكره علماء العقيدة في هذا الجانب .

فاما ما يتعلق بالجهم والجهمية : فقد كان ابو حنيفة رحمه الله يذمهم ويحذر من افكارهم ويعدها من الافكار الهدامة التي تفسد عقيدة المسلمين ، فمن وصاياه لابي يوسف قوله :(يا

---

[٨٦] - المصدر نفسه : ٩ / ١٦٩ .
[٨٧] - ضعفاء العقيلي : ٤ / ٢٨٢ .
[٨٨] - ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال : ٧ / ٩ .
[٨٩] - تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٢٦ .
[٩٠] - ينظر : تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٢٨ .
[٩١] - المصدر نفسه : ١٣ / ٣٥٥ .
[٩٢] - المصدر نفسه : ١٣ / ٣٣٧ .
[٩٣] - تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٤١ .
[٩٤] - ينظر : حلية الاولياء : ٦ / ٣٢٥ .
[٩٥] - الجهمية : هي فرقة من الفرق الكلامية الضالة تعود الى المرجئة لانهم يقولون بالارجاء بالايمان وبالخبر في الاعمال ، سميت بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها جهم بن صفوان ، كان يقول بالاجبار والاضطرار الى الاعمال ، وكان يزعم ان الجنة والنار معرضتان للابادة والفناء ، وعلم الله حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بانه حي او عالم او مريد ، وادعى ان الايمان هو معرفة الله تعالى فقط وان الكفر هو الجهل به فقط . وبسبب هذه المزاعم رمي بالكفر . ظهرت بدعته في (ترمذ) وقتله مسلم بن احوز المازني ب(مرو) في آخر ملك بني امية .
ينظر : الفرق بين الفرق : ١ / ١٩٠ ، ١٩٩ ، الملل والنحل : ١ / ٨٦ .

ابا يوسف احذر صنفين من خراسان الجهمية والمقاتلية [٩٦])[٩٧] ، وكلاهما من المرجئة .
ويقول ايضا :(اتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه)[٩٨] .
وقد حقق الامام ابن حجر الهيتمي في مسألة اتهام ابي حنيفة بالارجاء وتوصل الى جملة من النتائج اهمها [٩٩] :

١. كان هناك من المرجئة من يحكي ما ذهب اليه من الارجاء عن ابي حنيفة قاصدا به ترويج مذهبه بنسبته الى هذا الامام الجليل وهو غسان المرجيء [١٠٠] ، وهو كذب وافتراء ن أبا حنيفة قال إن الايمان هو المعرفة والاقرار با لله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله فى الجملة دون التفصيل وانه لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه ، بينما قال غسان المرجيء ان الايمان يزيد ولا ينقص [١٠١] .
٢. كان المعتزلة في الصدر الاول يلقبون من يخالفهم في القدر مرجئا كما حكاه الامدي .
٣. ظُن بابي حنيفة رحمه الله الارجاء لانه قال بان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وان العمل مؤخر عن الايمان ، وهو ليس من الارجاء ، لذلك يرد الطحاوي على المرجئة وهو يقول بمذهب ابي حنيفة فيقول :(ولا نقول لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله نرجو للمحسنين ان يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نامن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة ونستغفر لمسيئهم ونخا ف عليهم ولا نقنطهم .... ولا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما ادخله فيه)[١٠٢] ، كما انه يخالف ما عر ف به من المبالغة في العمل والاجتهاد فيه .

ويضا ف الى التهم السابقة التي رمي بها ابو حنيفة تهمة اخرى مفتراة وهي قوله بخلق القرآن ، ووضع الوضاعون جملة من الروايات منها رواية ينقلها سفيان الثوري عن حماد بن ابي سليمان قوله :(ابلغ عني ابا حنيفة المشرك اني بريء منه حتى يرجع عن قوله في القران)[١٠٣] ، وكما هو معرو ف ان حمادا هو من شيوخ ابي حنيفة ، وقد لازمه ابو حنيفة الى وفاته ، فلو صح هذا القول لحماد لما سمح له ان يلازمه ويأخذ عنه علمه .
فالصحيح ان ابا حنيفة لم يقل بخلق القران ، بل ورد عنه انه كان يذم كل من يقول بهذا القول ، فعن ابن المبارك يقول :(ذكر جهم في مجلس ابي حنيفة ، فقال : ما يقول ؟ قالوا : يقول القران مخلوق ، فقال : كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا)[١٠٤] .

---

[٩٦] - المقاتلية : هي من الفرق الكلامية ، سميت بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها مقاتل بن سليمان ، وهو يعد من كبار المرجئة ، كان يقول أن المعصية لا تضر صاحب التوحيد والإيمان وأنه لا يدخل النار مؤمن ، وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد ، الا انه كان يخالفه في التجسيم ، فقد كان جهم يقول ليس الله تعالى ولا هو أيضا لا شيء نه تعالى خالق كل شيء فلا شيء إلا مخلوق ، وكان مقاتل يقول أن الله جسم ولحم ودم على صورة انسان رباني .
ينظر : الفصل في الملل : ٤ / ١٥٥ ، الملل والنحل : ١ / ١٤٠ ، ١٧٢ .
[٩٧] - المجروحين : ٣ / ١٥ .
[٩٨] - تهذيب الكمال : ٢٨ / ٤٤٢ .
[٩٩] - ينظر : الخيرات الحسان : ص ٨٠ .
[١٠٠] - غسان المرجيء : واليه تنتسب الفرقة الغسانية ، زعم أن الايمانهو الإقرار او المحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه وقال انه يزيد ولا ينقص وفارق اليونسية بأن سمى كل خصلة من ا يمان بعض ا يمان ، وكان يزعم في كتابه ان قوله كقول أبى حنيفة فيه وهو كذب وافتراء . ينظر : الفرق بين الفرق : ١ / ١٩١ .
[١٠١] - ينظر : الفرق بين الفرق : ١ / ١٩١ – ١٩٢ .
[١٠٢] - العقيدة الطحاوية : ١ / ٤٠ .
[١٠٣] - اعتقاد اهل السنة للالكائي : ٢ / ٢٣٩ .
[١٠٤] - المصدر نفسه : ٢ / ٢٧٠ .

وعد الالكائي الطبقة الاولى من الفقهاء الذين قالوا بان كلام الله غير مخلوق ، ومن قال بانه مخلوق فهو كافر ، وذكر منهم ابو حنيفة واصحابه كابي يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن زكريا بن ابي زائدة [١٠٥] .

وجاء في " شرح العقيدة الطحاوية " بما نصه :(وبالجملة فاهل السنة كلهم من اهل المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على ان كلام الله غير مخلوق)[١٠٦] .

ان هذه الاخبار الكاذبة ومثيلاتها في ذم ابي حنيفة رحمه الله كان يختلقها ويروجها بعض من لا يحتج بحديثه وممن عر ف بالوضع كنعيم بن حماد المروزي ، فقد كان يضع الاحاديث في تقوية السنة واخرى في ثلب ابي حنيفة كلها كاذبة وذلك لصلابته على اهل الرأي[١٠٧] .

القسم الثالث / كان هناك من يضع الاحاديث عن عمد في مناقب ابي حنيفة وفقهاء آخرين كالشافعي رحمهما الله تعالى ، منها ما وضع في المناقب من التنصيص على اسميهما ، وكذا ما وضعه الكذابون ايضا في ذمهما على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كله كذب مختلق [١٠٨] .

منها :(ابو حنيفة سراج امتي) ، فهي رواية موضوعة باتفاق المحدثين تفرد بها البورقي وقد مر ذكره [١٠٩] ، ورواية :(سيأتي رجل من بعدي يقال له النعمان بن ثابت ويكنى ابا حنيفة يحيا دين الله وسنتي على يديه) فهي من الموضوعات ايضا [١١٠] .

وكان ابرز من يضع مثل هذه الاحاديث احمد بن عبد الله بن خالد الجويباري ويقال الجوباري ، كان يضع الحديث لابن كرام على ما يريده ، وكان ابن كرام يخرجها في كتبه عنه ، فمن ذلك قوله : حدثنا بن كرام ثنا أحمد عن أبي يحيى المعلم عن حميد عن أنس رضي الله عنه يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة يجدد الله سنتي على يده [١١١] .

٢- الحسد والجهل:

ان اعظم ما ابتلي به العلماء هو الحسد فيما بينهم ، لذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما :(استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فو الذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زربها)[١١٢] ، والذي كان سببا للايقاع بكثير من العلماء ، ولا سيما اذا اشتهر بالعلم وذاع صيته في بقاع الارض ؛ كابي حنيفة وابي ايوب السختياني وسفيان الثوري ومالك بن انس والليث بن سعد والاوزاعي وعبد الله بن المبارك [١١٣] .

وكذلك الجهل بمكانة هؤلاء العلماء وعلو قدرهم ، لذلك يقول الخريبي :(ما يقع في ابي حنيفة الا حاسد او جاهل)[١١٤] ، ويقول عبد الله بن داود :(يقول الناس في ابي حنيفة رجلان جاهل به وحاسد له)[١١٥] ، ويقول قيس بن الربيع :(كان ابو حنيفة رجلا ورعا فقيها

---

[١٠٥] - ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٧٧ – ٢٨٠ .
[١٠٦] - ١ / ١٦٨ .
[١٠٧] - ينظر : تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٧٦ ، تهذيب التهذيب : ١٠ / ٤١٢ ، الكامل في الضعفاء : ٧ / ١٦ ، الضعفاء والمتروكين : ٣/ ١٦٤ ، تاريخ دمشق : ٦٢ / ١٦٨ .
[١٠٨] - ينظر : المنار المنيف : ١ / ١١٦ ، نقد المنقول : ١ / ١٠٧ .
[١٠٩] - ينظر : الكشف الحثيث : ١ / ٢٣٢ .
[١١٠] - ينظر : كشف الخفاء : ١ / ٣٣ .
[١١١] - ينظر : لسان الميزان : ١ / ١٩٣ ، الكامل في الضعفاء : ١ / ١٧٧ .
[١١٢] - جامع بيان العلم وفضله : ٢ / ١٥١ .
[١١٣] - ينظر : الكامل في ضعفاء الرجال : ٧ / ١٠ .
[١١٤] - سير اعلام النبلاء : ٦ / ٤٢٠ .
[١١٥] - المصدر نفسه : ١٣ / ٣٦٧ ، تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٤١ .

محسودا)[١١٦]. ويقول مسعر بن كدام :(ما احسد احدا بالكوفة الا رجلين ابو حنيفة في فقهه والحسن بن صالح في زهده)[١١٧] . وكانت مطاعن الحساد وذمهم له تصل الى ابي حنيفة في حياته ، فعن سفيان بن وكيع قال :(سمعت ابي يقول : دخلت على ابي حنيفة فرأيته مطرقا مفكرا ، فقال لي : من اين اقبلت ؟ قلت : من شريك ، فرفع رأسه وانشأ يقول :

ان يحسدوني لائمهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حُسدوا
فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد [١١٨] .

وكان يحيى بن معين اذا ذكر له من يتكلم في ابي حنيفة يقول :

حسدوا الفتى اذا لم ينالوا سعيه فالقوم اضداد له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها انه لدميم حسدا وبغيا [١١٩] .

المطلب الرابع

اسقاط الجرح في ترجمة الامام ابي حنيفة رحمه الله

لقد جاء في بعض كتب التراجم تحامل شديد على ابي حنيفة رحمه الله واصحابه ، فاوردوا ما وضع على ابي حنيفة من مثالب دون ان يدققوا في مدى صحتها فساقوها كما هي ، ولا سيما الخطيب البغدادي في كتابه " تاريخ بغداد " ، مما دفع بعض اهل العلم ان يردوا على ما جاء في ذلك الكتاب ؛ منهم : الملك المعظم عيسى بن ابي بكر الايوبي في كتابه " السهم المصيب في كبد الخطيب " ، وسبط ابن الجوزي في كتابه " الانتصار لامام ائمة الامصار " ، وابو المؤيد الخوارزمي في مقدمة " جامع المسانيد " ، وبعدهم بفترة ليست بالقصيرة الفقيه المحدث محمد زاهد الكوثري في كتابه " تأنيب الخطيب " وغيرهم ، فقد ذبوا عن ابي حنيفة وردوا على الخطيب ردا مشبعا [١٢٠] .

لذلك اطبق كثير من الحفاظ الذين جمعوا تراجم الرجال على الثناء على ابي حنيفة والتبجيل له دون الحط عليه والطعن فيه ، من غير ان يبالوا بطعن الطاعنين .

فهذا الامام المزي محدث الشام صاحب كتاب " تهذيب الكمال " حيث ترجم لابي حنيفة رحمه الله فلم يذكر شيئا لا يليق بمكانة الامام ، وكان منهجه يقوم على التدقيق في الاسناد ، فمن لم يذكر اسناده بينه وبين قائله ينظر الى الصيغة ، فان كان فيها جزم فهذه الرواية فيها بأس ، وان كانت بصيغة التمريض فان اسناده فيه نظر ، فيبحث عن القرائن التي توثق هذه الرواية.

هذا التحري في الاسناد والمتابعة له يعطي توثيقا لما نقله من نصوص فيها ثناء على ابي حنيفة ، ولا سيما ما نقله من توثيق يحيى بن معين حيث قال :(وكان ابو حنيفة ثقة ....)[١٢١] ، وقال ايضا في موضع آخر :(كان ابو حنيفة ثقة في الحديث)[١٢٢] .

---

[١١٦] - سير اعلام النبلاء : ١٣ / ٣٦٠ .
[١١٧] - سير اعلام النبلاء : ١٣ / ٣٣٨ .
[١١٨] - تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٤٢ ، سير اعلام النبلاء : ١٣ / ٣٦٧ .
[١١٩] - اخبار ابي حنيفة واصحابه للصيمري : ص ٦٥ .
[١٢٠] - ينظر : مقدمة تانيب الخطيب للكوثري : ص ٢٠ .
[١٢١] - تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٢٤ .
[١٢٢] - المصدر نفسه .

وهذا التوثيق نقله ايضا الحافظ ابن كثير الدمشقي الشافعي في " البداية والنهاية " [١٢٣] .
واورد الامام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في " الميزان الكبرى " ما نصه :(واما ما نقل عن الائمة الاربعة رضي الله عنهم اجمعين في ذم الرأي فاولهم تبريا من كل راي يخالف ظاهر الشريعة الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه خلا ف ما يضيفه اليه بعض المتعصبين ، ويا فضيحته يوم القيامة من الامام اذا وقع الوجه في الوجه ، فان من كان في قلبه نور لا يتجرأ ان يذكر احدا من الائمة بسوء)[١٢٤] .
ويقول ايضا رحمه الله :(واياك ان تخوض مع الخائضين في اعراض الائمة بغير علم فتخسر في الدنيا والآخرة ، فان الامام رضي الله عنه كان متقيدا بالكتاب والسنة متبرئا من الرأي ...)[١٢٥] .
واذا ظهر لنا جليا نقض التهم التي جرح بسببها الامام ابو حنيفة رحمه الله فقد سقط كل ما قيل في حق ذلك الامام الجليل من تجريح ، وذلك لان الجرح لا يثبت الا اذا فسر سببه كما هو ثابت عند علماء الجرح والتعديل [١٢٦] ، واذا سقطت ونقضت تلك الاسباب فان التجريح يسقط ايضا .
وبالتالي فلا عبرة بقول الجهال والحساد والاعداء الذين ما لبثوا الا بتوجيه الطعون والاعتراضات على كل من يجمع الناس على جلالة قدره وعلمه وورعه ولا سيما ائمة المذاهب المتبوعة ؛ ومنهم الامام ابو حنيفة رحمهم الله تعالى جميعا .

المطلب الخامس

منهج الامام ابي حنيفة في قبول الحديث والعمل به

لقد سلك الامام ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى اتجاها في الاخذ بالحديث والعمل به تميزوا به عن غيرهم ، حتى اصبح بعد ذلك منهجا اصوليا مستقلا يقابل منهج الجمهور في استنباط الاحكام الشرعية .
فوضعوا شروطا في قبول (خبر الاحاد)[١٢٧] ، شأنهم في ذلك شان الفقهاء والمحدثين ، والتي كانت سببا في رد بعض اخبار الاحاد لانها لم تكن وفق تلك الشروط ، مما كان لها الاثر في اختلا ف كثير من الاحكام الشرعية بمقابل الجمهور الذين قبلوا تلك الاخبار بناء على اصولهم.
ولعل العمل بهذه الشروط وما آلت اليه كانت من الاسباب التي دفعت البعض بان يصرحوا بان ابا حنيفة واصحابه ياخذون بالرأي ويتركون النص . والحق انهم تركوا نصا واخذوا بالاخر لانهم وجدوا الاخير اقوى أعتبارا من غيره ، وهو ضرب من ضروب الاجتهاد .
ويمكن تلخيص هذه الشروط بما يأتي [١٢٨] :

---

[١٢٣] - ١٠ / ١٠٧ .
[١٢٤] - ١ / ٥٤ ـ ٥٥ .
[١٢٥] - الميزان الكبرى للشعراني : ١ / ٦٩ .
[١٢٦] - ينظر : الرفع والتكميل لعبد الحي اللكنوي : ١ / ٩٣ .
[١٢٧] - خبر الاحاد : عرفه الحنفية بانه : كل خبر يرويه الواحد او الاثنان فصاعدا ، وعرفه المحدثون بانه : كل حديث لم يجمع شروط المتواتر ، ويدخل فيه المشهور او المستفيض على رأي ، والعزيز والغريب . ينظر : كشف الاسرار شرح اصول البزدوي لعبد العزيز البخاري : ٢ / ٦٧٨ ، نزهة النظر : ص ٢٦ ، نخبة الفكر : ١ / ١٣ .
[١٢٨] - ينظر : مقدمة شرح مسند ابي حنيفة : ١ / ٣ .

- عرض أخبار الآحاد على ا صول المجتمعة عنده بعد استقرائه لما جاء في نصوص الشرع ، فإذا خالف خبر الآحاد تلك ا صول يأخذ با صل عملا بأقوى الدليلين لانه قطعي بالاتفاق والثاني وهو خبر الاحاد ظني عنده ، والقطعي مقدم على الظني وهذا اعمالا للنص لا تركا له .
عرض أخبار الآحاد على عمومات الكتاب وظواهره فإذا خالف الخبر عاما أو ظاهرا في الكتاب أخذ بالكتاب وترك الخبر عملا بأقوى الدليلين كما مر .
أن لا يخالف خبر الاحاد السنة المشهورة سواء أكانت سنة فعلية أو قولية عملا بأقوى الدليلين ، لان المشهور عنده بمنزلة اعلى من خبر الاحاد ودون المتواتر ، وهو قسم انفرد به الحنفية دون غيرهم .
أن لا يعارض خبر الاحاد خبرا مثله ، وعند التعارض يرجح أحد الخبرين على الآخر بوجوه ترجيح تختلف من مجتهد الى آخر .
أن لا يعمل الراوي بخلا ف ما يرويه ، لان عمل الراوي بخلا ف روايته يعني انه قد ظهر عنده دليل قطعي نسخ ما يرويه ، فعند ذلك تكون العبرة بعمله لا بروايته .
عدم ا خذ بخبر الآحاد اذا توافرت الدواعي على نقله ، او فيما تعم به البلوى - أي فيما يحتاج إليه الجميع حاجة متأكدة مع كثرة تكرره - فلا يكون طريق ثبوت ذلك غير الشهرة أو التواتر ، والا فسو ف يكون مظنة ريبة . ويدخل في ذلك الحدود والكفارات التي تدرأ بالشبهة .
أن لا يترك أحد المختلفين في الحكم من الصحابة الاحتجاج بالخبر الذي رواه أحدهم .
استمرار حفظ الراوي لمرويه من وقت التحمل إلى وقت ا داء من غير تخلل نسيان .
عدم مخالفة الخبر للعمل المتوارث بين الصحابة والتابعين .
. ان لا يخالف خبر الاحاد القياس وما اجمعت عليه الامة .
. يشترط فقه الراوي لقبوله .

وبناءً عليه لم يحتج الحنفية بجملة من الاحاديث لانها كانت تخالف تلك الاصول عندهم منها : حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :(ايّما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل)[١٢٩] .
لم يعمل الحنفية بهذا الحديث لان السيدة عائشة رضي الله عنها راوية الحديث عملت بخلافه ، فقد زوجت ابنة اخيها حفصة بنت عبد الرحمن بالمنذر بن الزبير من غير اذن وليها وقد كان غائبا [١٣٠] .
وبناءً عليه ذهبوا الى ان عقد النكاح يصح بغير ولي معضدين قولهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :(الايم احق بنفسها من وليها ...)[١٣١] ، بينما ذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يصح من غير ولي مستدلين بحديث السيدة عائشة رضي الله عنها وادلة اخرى لسنا في مجال التفصيل فيها والترجيح بينهما .

---

[١٢٩] - رواه الترمذي رقم ١١٠٢ : ٣ / ٤٠٧ .
[١٣٠] - ينظر : الموطأ : ٢ / ٥٥٥ .
[١٣١] - رواه مسلم في صحيحه رقم ١٤٢١ : ٢ / ١٠٣٧ .

ومنها : حديث بسرة بنت صفوان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(اذا مس احدكم ذكره فليتوضأ)[١٣٢] . فلم يعمل الحنفية بهذا الحديث لانه خبر احاد فيما تعم به البلوى ، والاصل فيه ان ينتشر ويذاع بين الناس فينقل من طريق الشهرة او التواتر .
لذلك قالوا بان مس الذكر غير ناقض للوضوء ، معضدين قولهم بادلة منها حديث قيس بن طلق عن ابيه قال :(سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيتوضأ أحدنا إذا مس ذكره قال إنما هو بضعة منك أو جسدك)[١٣٣] ، بينما ذهب الجمهور الى ان مس الذكر باليد ينقض الوضوء مستدلين بحديث بسرة وادلة اخرى كما مر [١٣٤] .
ان تلك الشروط وغيرها التي اشترطها الحنفية هي مبنية على الاجتهاد ، والمجتهد متى ما توافرت فيه شروط الاجتهاد فان فتاواه تكون مقبولة ومعتمدة ؛ واهم هذه الشروط هي [١٣٥] :

١. ان يكون محيطا بمدارك الشرع وهي اربعة : الكتاب والسنة والاجماع والعقل ، فيقدم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخيره .
٢. ان يكون عدلا مجتنبا للمعاصي القادحة في العدالة .

وقد بينا منزلة الامام ابي حنيفة العلمية وعلو شأنه وتمكنه من تلك العلوم ، وقد شهد له بذلك علماء عصره ومن جاء بعدهم ، مع ورعه وعبادته ، وكذلك اصحابه ممن يدور عليهم المذهب .
وان كان هناك من الفقهاء والمحدثين من لم يذهب الى ما ذهب اليه ابو حنيفة واصحابه فهذا لا يعني انهم على خطأ في اجتهاداتهم ، لان المجتهد لا ينقض اجتهاده باجتهاد غيره [١٣٦] ، ولو جاز نقضه لنقض الثاني باجتهاد آخر وهلم جرا ، وبالتالي فسو ف لا يستقر حكم وهذا فيه مشقة شديدة على المسلمين . لذلك حكم سيدنا ابو بكر رضي الله عنه في مسائل بموجب سلطته خالفه فيها سيدنا عمر ولم ينقض حكمه [١٣٧] .
فلا يمكن ان نحكم على ابي حنيفة بميزان غيره من الفقهاء والمحدثين ، لانه اجتهد ومكلف باجتهاده كما اجتهدوا هم ، وكل واحد منهم يحتمل الخطأ والصواب في اجتهاده .
لذلك يقول الشيخ عبد الغني الغنيمي في " كشف الالتباس " :(والبخاري وامثاله من المجتهدين مكلفون بما ادى اليه اجتهادهم ، وبذلوا في وسعهم ، وليس لهم ان يقلدوا غيرهم ، لان المجتهد ليس له ان يقلد مجتهدا ... وان كان الامر كذلك فلا يستبعد من المجتهد ان يحكم على قول مخالفه بالفساد ، لانه اذا بذل وسعه في الاجتهاد وتبين له او غلب على ظنه انه المراد ، فبالضرورة يحكم على قول مخالفه بالفساد)[١٣٨] .
لذلك فما وردت من انتقادات لابي حنيفة ومنهجه انما هي دافعها الاجتهاد كما مر ، وحكم مخالفه له بالفساد انما هو يدور بين كل المجتهدين اذا ما تعارضت اجتهاداتهم . ويبقى المجتهد ان اصاب فله اجران ، وان اخطأ فله اجر واحد .

---

[١٣٢] - الموطأ رقم ٨٩ : ١ / ٤٢ .
[١٣٣] - رواه احمد في مسنده رقم ١٦٣٢٩ : ٤ / ٢٢ ، وهو حديث حسن .
[١٣٤] - ينظر : الموطأ : ١ / ٤٢ ، المدونة الكبرى : ١ / ٨ ، التلقين : ١ / ٤٩ ، المهذب : ١ / ٢٤ ، روضة الطالبين / ١ / ٧٥ ، المغني : ١ / ٢٠٢ ، الانصاف : ١ / ٢٠٢ .
[١٣٥] - ينظر : فواتح الرحموت : ٢ / ٣٦٣ – ٣٦٤ ، المستصفى للغزالي : ٢ / ٣٥٠ .
[١٣٦] - ينظر : الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية لجلال الدين السيوطي : ص ١٣٧ ، الاشباه والنظائر على مذهب ابي حنيفة النعمان لابن نجيم : ص ٨٩ .
[١٣٧] - الاشباه والنظائر للسيوطي : ص ١٣٧ ، الاشباه والنظائر لابن نجيم : ص ٨٩ – ٩٠ .
[١٣٨] - ص : ٦١ – ٦٢ .

الخاتمة

فبعد ان احمد الله على نعمه وافضاله ، واصلي واسلم على صفوة خلقه ورسوله ، وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهديه .

اقول ...

ان من نعم الله تعالى علينا نحن امة خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام ان جعل لنا في كل زمان ومكان نفرا من خلقه تفقهوا في الدين وخاضوا في بحار دقائقه ، فوضحوا لنا كل مبهم ، وفسروا لنا كل مجمل ، وسهلوا لنا كل عسير ، فاعطي لهم من الفضل والرفعة ما جعلهم بدرجة تحت درجة الانبياء ، حتى غدا كل واحد منهم مجددا لامر هذا الدين .

ولكن كل ذي نعمة محسود ولا سيما في العلم ، فجاءت بعض كتب التاريخ والتراجم وهي تحمل في طياتها الغث والسمين من الاخبار من دون تمييز بينهما ، ولا سيما ما يتعلق بسيرة علماء هذه الامة ، فنجد الطعون والمثالب التي وضعها من كان في قلبه مرض ليشوهوا سمعة هذه الصفوة حتى ينفض الناس عنهم وعن ارائهم .

ومن جملة العلماء الذين وقعوا ضحية هذه الطعون الامام ابي حنيفة رحمه الله .

ولانتشار خبر ما وضع على ابي حنيفة من مثالب او ما نسب اليه من اراء لم يقل بها كان لبعض اهل العلم ولا سيما من لم يعاصر ابا حنيفة او يلتقي به موقفا متشنجا منه ومن مذهبه ، وغايتهم في ذلك وبلا شك نصرة هذا الدين .

وبالمقابل فقد انصف كثير من العلماء ابا حنيفة واصحابه ، ودفعوا عنه كل ما نسب اليه من طعون ، وفندوا وكذبوا كل ما وضع عليه من مثالب . والذي يدقق في كتب التراجم والسير ويقارن بين الاخبار فسو ف يقف على الحق في هذا الامر .

ان من جملة النتائج التي خرجت بها من خلال هذا البحث الدقيق بمادته الموجز بصفحاته هي :

١. الامام ابو حنيفة رحمه الله من الائمة المجتهدين في الدين ، المتبوع بآرائه منذ اكثر من الف عام والى يومنا هذا ، سار على مذهبه خيرة علماء هذه الامة بدءً من طلابه وابرزهم الامام ابي يوسف وابن المبارك ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر وغيرهم ، وهؤلا مشهود لهم بالرئاسة في العلم ، فلو صح ما نسب الى ابي حنيفة من الاقاويل ما تبعه هؤلاء ونشروا مذهبه .
٢. ابو حنيفة رحمه الله جمع بين الفقه والحديث وترك له اثرا فيهما ، ولكنه خاض في الفقه اكثر من غيره من العلوم الشرعية لانه وجده لغة العصر ، والمادة التي يحتاج اليها عوام الناس وخاصتهم ، بعد ان سخر له العلوم الاخرى لانها عماده ومكونه الاساسي ، واهمها الحديث .فلا يكون هناك فقه مالم يكن هناك كتاب الله اولا ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم مصادر التشريع الاخرى .
٣. كل ما ورد من تجريح وطعون بابي حنيفة رحمه الله فقد اجمع خيرة حفاظ التراجم على اسقاطها لما مر من الاسباب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

القران الكريم .
١) الإحكام في أصول ا حكام /علي بن أحمد بن حزم ا ندلسي أبو محمد / دار الحديث – القاهرة /الطبعة ا ولى ، ١٤٠٤.
٢) اخبار ابي حنيفة واصحابه / للامام ابي عبد الله حسين بن علي الصيمري / عالم الكتب – بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
٣) الاشباه والنظائر على مذهب ابي حنيفة النعمان / للعلامة الشيخ زين الدين بن ابراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم / دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان / الطبعة الاولى / ١٩ ٤هـ - ١٩٩٩م .
٤) الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي / ق : عبد الكريم الفضيلي / المكتبة العصرية / صيدا – بيروت / ٢٤ ٤هـ - ٢٠٠٣م .
٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣ / تحقيق :طه عبد الرءو ف سعد .
٦) الانصا ف / علي بن سليمان المرداوي / دار احياء التراث العربي – بيروت / تحقيق : محمد حامد الفقي .
٧) الإنصا ف في بيان أسباب الاختلا ف / أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي / دار النفائس – بيروت / الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ / تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع / للامام علاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي / دار الكتاب العربي – بيروت / ١٩٨٢م / ط : الثانية .
٩) البداية والنهاية / إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء /مكتبة المعار ف – بيروت .
١٠) تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية – بيروت .
١١) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها / تصنيف الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعرو ف بابن عساكر / دراسة وتحقيق علي شيري / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٢) تأنيب الخطيب / للفقيه المحدث محمد بن زاهد بن الحسن الكوثري / دار الكتاب العربي بيروت – لبنان / ١٠١ ٤هـ - ١٩٨١م .
١٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / مكتبة الرياض الحديثة – الرياض / تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف .
١٤) التدوين في اخبار قزوين / عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني / دار الكتب العلمية – بيروت / ١٩٨٧م / تحقيق : عزيز الله العطاردي .
١٥) تذكرة الحفاظ / محمد طاهر بن القيسراني / دار الصميعي – الرياض / ١٥ ٤هـ / الطبعة الاولى / تحقيق : حمدي السلفي .
١٦) تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد / أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي / دار الوعي – حلب /الطبعة ا ولى / ١٣٦٩هـ / تحقيق : محمود إبراهيم زايد .
١٧) تعجيل المنفعة بزوائد رجال ا ئمة ا ربعة / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / دار الكتاب العربي – بيروت /الطبعة ا ولى / تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق .
١٨) التلقين / عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي / المكتبة التجارية – مكة المكرمة / ١٥ ٤هـ / ط : الاولى / تحقيق : محمد ثالث سعيد الغاني .
١٩) تهذيب الاسماء /ابو زكريا محي الدين يحيى بن شر ف بن مري بن حزام النووي / دار الفكر – بيروت / ١٩٩٦م / ط : الاولى .
٢٠) تهذيب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / دار الفكر – بيروت / الطبعة ا ولى ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٢١) تهذيب الكمال / يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي / مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة ا ولى ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠ / تحقيق : د.بشار عواد معروف
٢٢) الجامع الصحيح المختصر/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي / دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ / تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .
٢٣) الجرح والتعديل / عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي / دار إحياء التراث العربي – بيروت /الطبعة ا ولى ، ١٢٧١ – ١٩٥٢.
٢٤) حلية ا ولياء وطبقات ا صفياء /أبو نعيم أحمد بن عبد الله ا صبهاني / دار الكتاب العربي – بيروت / الطبعة الرابعة / ١٤٠٥.
٢٥) الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان / للعلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي / مطبعة الامة – بغداد / ١٠ ٤هـ - ١٩٨٩م
٢٦) رسائل في علوم الحديث / احمد بن شعيب النسائي / مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت / ١٩٨٥م / ط : الاولى / تحقيق : جميل علي حسن .
٢٧) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل / أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي / مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب / الطبعة الثالثة ، ٠٧ ٤هـ / تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
٢٨) روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي / المكتب الاسلامية – بيروت / ٠٥ ٤هـ / ط : الثانية .
٢٩) سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني / دار الفكر – بيروت / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٣٠) سنن أبي داود/سليمان بن ا شعث أبو داود السجستاني ا زدي / دار الفكر / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / مع الكتاب : تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت .
٣١) سنن الدارمي / عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي / دار الكتاب العربي – بيروت / الطبعة ا ولى ، ١٤٠٧ / تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي .
٣٢) سير اعلام النبلاء / محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي / مؤسسة الرسالة – بيروت / ١٣ ٤هـ / ط : التاسعة / تحقيق : شعيب الارنؤوط – محمد نعيم العرقسوسي .
٣٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة / هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم / دار طيبة - الرياض ، ١٤٠٢ / تحقيق : د. أحمد سعد حمدان .
٣٤) شرح مسند ابي حنيفة ، ملا علي القاري .
٣٥) شرح معاني الآثار / أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي / دار الكتب العلمية – بيروت /الطبعة ا ولى ، ٣٩٩هـ / تحقيق : محمد زهري النجار.
٣٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي / مؤسسة الرسالة – بيروت / الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣ / تحقيق شعيب ا رنؤوط .
٣٧) صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / دار إحياء التراث العربي – بيروت م تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٣٨) الضعفاء الكبير / أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي / دار المكتبة العلمية – بيروت / الطبعة ا ولى ، ٠٤ ٤هـ - ١٩٨٤م / تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي .
٣٩) الضعفاء والمتروكين / أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي / دار الوعي - حلب الطبعة ا ولىھ ١٣٦٩ / تحقيق :
٤٠) طبقات الحفاظ / عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي / دار الكتب العلمية – بيروت / ٠٣ ٤هـ / ط : الاولى .
٤١) علوم الحديث / أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري / مكتبة الفارابي / الطبعة ا ولى ١٩٨٤ م
٤٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / للعلامة بدر الدين العيني .

٤٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي / دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ / تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي .
٤٤) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية / عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور / دار الآفاق الجديدة – بيروت / الطبعة الثانية / ١٩٧٧م .
٤٥) الفصل في الملل وا هواء والنحل / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد / مكتبة الخانجي – القاهرة .
٤٦) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت / للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري / المطبعة الاميرية / مصر / الطبعة الاولى / ١٣٢٤هـ .
٤٧) الكامل في ضعفاء الرجال / عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني دار الفكر – بيروت / الطبعة الثالثة / ١٤٠٩ – ١٩٨٨ / تحقيق : يحيى مختار غزاوي
٤٨) كشف الاسرار عن اصول فخر الاسلام البزدوي / للامام علاء الدين عبد العزيز بن احمد البخاري / دار الكتاب العربي – بيروت / الطبعة الثالثة / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٤٩) كشف الالتباس عما اورده الامام البخاري على بعض الناس / للعلامة الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي / مكتب المطبوعات الاسلامية – حلب / الطبعة الاولى / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٥٠) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث / إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبو الوفا الحلبي الطرابلسي / عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية – بيروت /الطبعة ا ولى ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ / تحقيق : صبحي السامرائي .
٥١) كشف الخفاء / إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي / مؤسسة الرسالة – بيروت / ١٤٠٥هـ / ط : الرابعة / تحقيق : احمد القلاش .
٥٢) الكنى والاسماء / مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري / الجامعة الاسلامية – المدينة المنورة / ١٤٠٤هـ / ط : الاولى / تحقيق : عبد الرحيم محمد احمد القشقري .
٥٣) لسان الميزان / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي /مؤسسة ا علمي للمطبوعات – بيروت / الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ / تحقيق :دائرة المعر ف النظامية – الهند .
٥٤) المبسوط / محمد بن ابي سهل السرخسي / دار المعرفة – بيروت / ١٤٠٦هـ .
٥٥) المجروحين / أبو حاتم محمد بن حبان البستي / دار الوعي – حلب / تحقيق : محمود إبراهيم زايد
محمود إبراهيم زايد .
٥٦) المدخل الى السنن الكبرى / احمد بن الحسين بن علي البيهقي / دار الخلفاء للكتاب الاسلامي – الكويت / ١٤٠٤هـ / تحقيق : محمد ضياء الرحمن الاعظمي .
٥٧) المدونة الكبرى / الامام مالك بن انس / دار صادر – بيروت .
٥٨) المستصفى في علم الاصول / للامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي / المطبعة الاميرية / مصر / الطبعة الاولى / ١٣٢٤هـ .
٥٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل / أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني / مؤسسة قرطبة – القاهرة / ا حاديث مذيلة بأحكام شعيب ا رنؤوط عليها .
٦٠) معجم البلدان / ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله / دار الفكر – بيروت .
٦١) معرفة الثقات / أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي / مكتبة الدار - المدينة المنورة /الطبعة ا ولى ، ١٤٠٥ – ١٩٨٥ / تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي .
٦٢) معرفة علوم الحديث / أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري / دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م / تحقيق : السيد معظم حسين .

٦٣) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني / عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد / دار الفكر – بيروت /الطبعة ا ولى / ١٤٠٥ .
٦٤) الملل والنحل / محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني / دار المعرفة - بيروت / ١٤٠٤ / تحقيق : محمد سيد كيلاني .
٦٥) المنار المنيف في الصحيح والضعيف / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب / الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ – ١٩٨٣ / تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
٦٦) منهاج السنة النبوية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس / مؤسسة قرطبة / الطبعة ا ولى ، ١٤٠٦ / تحقيق : د. محمد رشاد سالم .
٦٧) المهذب / للامام ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي / دار الفكر – بيروت .
٦٨) موطأ الإمام مالك /مالك بن أنس أبو عبدالله ا صبحي / دار إحياء التراث العربي – مصر / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٦٩) مولد العلماء ووفياتهم / محمد بن عبد الله بن احمد بن سليمان بن زبر الربعي / دار العاصمة – الرياض / ١٤١٠هـ / ط : الاولى / تحقيق / د. عبد الله احمد سليمان .
٧٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال / شمس الدين محمد بن احمد الذهبي / دار الكتب العلمية – بيروت / ١٩٩٥م / ط : الاولى / تحقيق : الشيخ علي محمد معوض – والشيخ عادل احمد عبد الموجود .
٧١) نخبة الفكر في مصطلح أهل ا ثر / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / دار إحياء التراث العرب – بيروت .
٧٢) نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر / للامام احمد بن علي بن حجر العسقلاني / المكتبة العلمية – المدينة المنورة .
٧٣) نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله / دار القادري – بيروت /الطبعة ا ولى / ١٤١١ – ١٩٩٠ / تحقيق : حسن السماعي سويدان .